«شهر الصورة الفوتوغرافية في لبنان»

جريج وحاجي توما ينقلبان على الذاكرة الأنيقة

حُجزت صالات العرض هذا الشهر للمعارض الفوتوغرافية في مناسبة «شهر الصورة الفوتوغرافية في لبنان»، الذي يشارك فيه عدد كبير من المصورين اللبنانيين، من أجيال واتجاهات مختلفة.

بين تلك المعارض، صور جوانا حاجي توما وخليل جريج في غاليري «جانين ربيز»، حيث رأينا خمسا وثلاثين صورة تبقى معلقة لغاية الثلاثين من تموز الجاري.

يبني جريج وزوجته حاجي توما أعمالهما على فكرة استخدام الواقع او الذاكرة المصورة مادة قابلة للتغيير او «التخريب»، بحثا عن جماليات فنية وإضافات تخرج على إطار العادي المتداول في التصوير الفوتوغرافي.

شهوة النار

وتقوم الفكرة في المعرض على صور لبيروت كانت موجودة على سويتها وواقعيتها في زمن ما قبل الحرب، عندما كان والد جريج مصورا مكلفا من «الدولة» بتصوير العاصمة ومحطاتها ومشاهدها الرئيسة... هذه الصور التي تحولت وقتها الى بطاقات بريدية وبقيت في متناول المصور الابن بعد الحرب، وقد حدث ما حدث في البلاد من عنف ونار وقتل وتخريب، كانت هي الأخرى أرضا لشهوة النار لدى المصور نفسه، كأنه أراد ان يمارس عليها حربا وهمية شكلت متنفسا لذلك الذي امتلأت ذاكرته بـ«بطولات» النار التي اشتعلت ذات يوم في المدينة حين كان المصور لا يزال طفلا فتى...

القصة على ما يبدو قصة جريج، والفكرة فكرته، وقد ساعدت حاجي توما في تنفيذها. وقد أطلق الإثنان على معرضهما اسم «رواية مصوّر مهووس بالنار». فقد خرجت النار من ذاكرة المصور، وأحرقت البطاقات البريدية الأنيقة، قبل ان يعيد المصور تصويرها من جديده في حال خرابها.

بدا المصور متلذذا في عملية الحرق، يتفنن في نشرها على أرجاء المشهد، كأنه مقاتل، شعر بالعزلة والبرود المفاجئ، فانتقم لنفسه، وسعى الى تحقيق «بطولة» ما في هذه الحرب.

استباحة

استباح المصور إذاً المدينة القديمة التي أسست للحرب، واستباح روزنامة والده، ويوميات تصويره، واستباح، على طريقته، في محترفه، ما استباحه الجميع بالحديد والنار في الشوارع العامة. فكأنه هنا لم يصوّر المدينة الذاكرة ولا المدينة المشتهاة، انما يصوّر تصدعاته، وانهيارات أحلامه وآماله، والخراب الذي يحتل كيانه.

يعيد المصور هنا تشكيل المدينة او المشهد، فيضيف الى الواقع فعله هو، بل هو يرفض الواقع وقدسيته، ساعيا الى انتهاكه وتحويله الى مادة قابلة للعبث.

هو اذا يرفض ذلك الإطار الذي وضعت فيه الصور، او الذي يشكل دفئا للواقع والذاكرة، فلا يستطيع تحمل زمانه ومكانه بل يقطع حضوره بالتخريب. وهكذا، الى أننا شاهدنا في أحد أقسام المعرض مئات بكرات الأفلام غير المحمّضة، لا تزال مطوية على صورها بانتظار لحظة مبهمة، وقد علّق عليها جريج: «لم أعد أظهّر صوري حسبي ان التقطتها. وتتجمع بكرات الأفلام واحدة تلو الاخرى. فالصورة انما هي الحياة، ولكنها الحياة المتأخرة، فاللذة كل اللذة في فعل التصوير.. وبعد، بعد زمن طويل، سأظهّر كل هذه البكرات».

هنا ينبّهنا جريج الى ان المصوّر الفوتوغرافي، انه يمارس في تصويره فعل لذة تتكرر مع كل لقطة، على ان لحظة اللذة تلك تكمن في المشاهدة البكر للمشهد صناعة كادر المشهد قبل فتح العين السوداء داخل الكاميرا، وعندما يخرج الضجيج من عتمة الآلة الفوتوغرافية ينتهي كل شيء بالنسبة الى المصوّر نفسه وتنفتح حياة الصورة على الآخرين.

لقد انتهك جريج بطاقات والده الذي تركها لزمن غير زمنه، وهو يؤجل تظهير صوره، الى ان يأتي في ما بعد من يفعل فيها انتهاكا ينقلها من زمن الى آخر.

أحمد برّو

شهداء للمرة الثانية (علي علوش)

وجوه أمام العدسة.. والنار

خرب الصورة